



لم يكن مستغرباً أن ترسل كل من روسيا والصين، إلى جانب كوريا الشمالية وكوبا وفنزويلا، رسالةً إلى الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريس، تطالب فيها برفع العقوبات الأمريكية والأوروبية المفروضة على النظام السوري، كي تتسنى له مواجهة تفشي انتشار فيروس كورونا، لأن كلا النظامين، الروسي والصيني، اعتادا الوقوف إلى جانب نظام الأسد في كل جرائمها، وحاولا استغلال كل القضايا الإنسانية، وغير الإنسانية، من أجل دعم النظام، وإعادة إدماجه في المجتمع الدولي، سواء من باب إعادة الإعمار، أو من باب إعادة اللاجئين الذين شردهم نظام الأسد نفسه، لذلك يستغل الساسة الروس ونظرائهم الصينيين وسواهم جائحة كورونا، من أجل تجديد دعمهم نظام الأسد.

وجاءت الرسالة بعد أيام على الزيارة التي قام بها وزير الدفاع الروسي، سيرغي شويغو، إلى دمشق، في 23 من آذار/ مارس الماضي، ولقائه رئيس النظام السوري. وحاولت موسكو تسوييقها في إطار مساعيها الإقليمية والدولية لرفع العقوبات عن النظام، مستغلة قضية إنسانية، بدلاً من إلزامه بوقف إطلاق نار شامل، واتخاذ خطوات ملموسة لحماية المدنيين في مناطق سيطرته، والكشف عن مصير عشرات آلاف المدنيين في زنازين النظام في ظروف غير إنسانية، أو على الأقل حتى على أن يفتح معتقلاته أمام اللجنة الدولية للصليب الأحمر، والسماح لممثليها بزيارتها، وأن يطلق سراحهم، بدلاً من العفو الذي أصدره عن مرتكبي الجرائم وتجار المخدرات.

ويحاول نظام الأسد استغلال تفشي فيروس كورونا، كي يجدد دعوته إلى الأمم المتحدة لرفع العقوبات الاقتصادية المفروضة عليه، وعلى داعميه في نظام الملاي الإيراني، وتسوييق ذلك عبر دعوة المجتمع الدولي إلى "احترام مبادئ القانون الدولي الإنساني وقدسيّة الحياة البشرية"، والتي لا يقيم لها النظام أي وزن أو اعتبار.

واللافت تلقي بعض الأنظمة العربية هذه الدعوات، كي تهروء إلى تجديد محاولاتها تطبيع علاقاتها من نظام الأسد الإجرامي،

حيث سارع ولی عهد أبو ظبی، محمد بن زاید، إلى الاتصال برأس النظام بذریعة الاعتبارات الإنسانية، وتغییبها على الاعتبارات السياسية، وهو اعتبار یفقد مصداقیته مع نظام الأسد الذي داس على المبادئ والأعراف الإنسانية في تعامله الوحشي مع السوريين، عبر إبادة مئاتآلاف منهم، وتهجير الملايين الذين باتوا بلا مأوى يحمیهم من كورونا.

ويبدو أن استغلال بعض الأنظمة العربية فرصة انتشار كورونا یلاقي محاولات النظام الاستفادة منها أيضاً، وقد وجدها فرصة للتكسب، مثلاً وجدتها الأنظمة المتسلطة فرصة لإيقاف ثورات الاحتجاج عليها في أكثر من بلد عربي، وهي تلتقي مع محاولة الروس والصینيين، والأنظمة العربية المهرولة نحو تطبيع العلاقات مع نظام الأسد، التسلل عبر يافطة التضامن الإنساني، کي تتستر على جرائم النظام، وتقفز على حزمة العقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة والدول الأوروبية لمنع النظام من الإفلات من العقاب عن الجرائم البشعة التي ارتكبها ضد غالبية السوريين خلال السنوات التسع الماضية، وهي محاولة بائسة يستخدمها ساسة هذه الدول، بغية دعم استمرار هذا النظام في الإمعان في قتل المدنيين، والانقضاض على ما تبقى منهم في المناطق الخارجة عن سيطرته.

ولا شك في أن التصدی لتفشي فيروس كورونا مهمة جميع الأنظمة السياسية الحاکمة، بغية حماية مواطنیها، ولكن نظام الأسد لا یهمه سوى حماية نفسه وأذلامة، ولذلك لجأ، في البداية، إلى إنكار وجود الفيروس في سوريا. وهو نهج اعتاد عليه النظام المذکور في التعامل مع الأزمات والکوارث التي حلت بسوریة والسویرین، ثم راح يستغل انتشار الفيروس بغرض كسب التعاطف الدولي، والدعوة إلى رفع العقوبات، فيما عمد إلى استغلال الهلع من انتشار الفيروس للتضييق على حیاة السوريين في مناطق سيطرته، عبر إذلالهم وجعلهم يقفون ساعات طويلة في طوابير تنتظر الحصول على رغيف الخبر والمواد الأساسية للعيش.

وعلى الرغم من محاولات النظام والروس والأنظمة العربية المتھافة نحو التطبيع مع نظام الأسد، إلا أن المجتمع الدولي یعي طبيعة نظام الأسد الذي سيعمد إلى استغلال انتشار الفيروس لابتزاز المجتمع الدولي، عبر استخدامه السوريين رهائن. وبالتالي، يجب أن لا تمر مساعدة السوريين في مواجهة الوباء عبر هذا النظام الإجرامي، لأن نظام لا يکترث بحیاة السوريين، بل سیحاول الاستفادة من تفشي الفيروس لتسويق نفسه، وتلميع صورته، وفي الوقت نفسه، لن یکترث بمصیر من اضطروا على البقاء في مناطق سيطرته، بل ينظر إليهم بوصفهم حملأ ثقیلاً عليه التخلص منه.

أما السوريون في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام، فلم یتوقف النظام عن هجماته عليهم في إدلب وسواها، وعن تهیداته باجتیاحها، على الرغم من نداءات الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيریس، إلى وقف فوري وكامل لإطلاق النار، فضلاً عن تحذیرات المبعوث الأممي الخاص، غير بیدرسون، من تدهور الأوضاع في سوريا وانهیارها، ومن أن أي تصعید عسكري ستكون له آثار إنسانية کارثية، خصوصاً في هذه الظروف التي تتطلب منتهی الحیطة بسبب الخوف من تفشي الوباء، لكن نظام الأسد یريد ابتزاز المجتمع الدولي، بغية الإفلات من العقوبات المفروضة عليه، فيما یحاول قادة العالم التقليل قدر الإمكان من الكوارث والأزمات في الظروف الحالية.

المصادر:

العربي الجديد